



عش مع القرآن - سورة فصلت

الكمال لله-عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله.



عش مع القرآن - سورة فصلت

05 يوليو 2023 | 16 ذي الحجة 1444 | الدرس # 34

المقدمة

دعاء

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلا أَنْتَ، وَقِنَا سَيِّئَ الأَعْمَالِ والأَخْلَاقِ لا يَقِي سَيِّئَهَا إِلا أَنْتَ.

دعاء

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الأَخْيَرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، ما عَلمْنَا مِنْهُ وما لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الأَشْرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، ما عَلمْنَا مِنْهُ وما لَمْ نَعْلَمْ.

◌ ونكمل تدبر سورة فصلت، والتي بدأنا بتدبرها في

رمضان ووصلنا الآن لنهايتها فنسأل الله:

سورة التحريم 8

رَبَّنَا أَتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

◌ و"فُصِّلَتْ"، من التفصيل أي الله (سبحانه وتعالى)

يفصل لنا الآيات وهذا التفصيل مهم جدا في الدعوة

إلى الله، فالداعي إلى الله (سبحانه وتعالى) لا يُفَصِّل

عن نفسه وحاله ومشاكله إنما يُفَصِّل عن توحيد

الله ليزداد الناس تعلقا به (سبحانه وتعالى).

وَفُصِّلَتْ كَذَلِكَ مِنَ التَّفْصِيلِ عَنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ،
فليس كافيا أن نعرف الخير إنما الشر كذلك لأننا إن
لم نعرفه لن نعرف الخير، كذلك ليس كافيا أن نذكر
عن التوحيد بدون ذكر الكفر لأن بذكر الكفر سنعرف
التوحيد.

واليوم سنتدبر من الآيات ما حال الانسان بدون
العلم والهداية، ونرى أنه لما يأتي ذكر الانسان في
القرآن فالمراد منه طبيعة الانسان، بدون هداية،
مثلا لما يذكر لنا:

سورة الأنبياء 37

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۗ

○ وسنرى في الآيات القادمة التفصيل المذكور عن

الانسان:

تدبر سورة فصلت – الآية 49 إلى 51

سورة فصلت 51 – 49

لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ
(49) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي
وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۗ
فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (50)
وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ
فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (51)

○ هنا إخبار عن حال وطبيعة الانسان في حال الخير

والشر، والسرّاء والضراء، أي لا يكون على حال واحد،

مثال:

سورة النور 44

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ

○ أي حياتنا لا تكون دائما ليل إنما دائما يعقب الليل

النهار. كذلك الخير والشر، والسرّاء والضراء لا

يستمران، والمهم في كل هذه التقلبات ماذا استفاد

منها الانسان.

○ وسورة فَصَّلَتْ تُفصل لنا في أن هذا حال الانسان
 كي نستطيع التغلب على هذه الحال فلا نستسلم،
 ولأنه مهم في الداعي أن يعلم طبيعة البشر، وأنهم
 متقبلون في استقبالهم للخير والشر، فلا يدعوهم
 وهو لا يعلم بحالهم فيكون في واد وهم في واد.

○ وبداية يذكر لنا عن طبيعة في الانسان وهي، **{لَّا يَسْأَمُ**
الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ}، هذا إخبار عن طبيعة الإنسان،
 من حيث هو، وعدم صبره وجلده، لا على الخير ولا
 على الشر، مع أننا نعتقد أنه لا يصبر في حال الشر

فقط، ولكن بيّن الله لنا أنه وإن كان في النعمة وفي الخير لا يصبر، فهو دائم الشكوى في كل الأحوال.

◌ مثلًا من لديه المال ومن لا يوجد لديه، من لديه

الأبناء ومن هو عقيم كلاهما يشتكيان، لذلك الله

(سبحانه وتعالى) يخبرنا في هذه الآيات، **{لَّا يَسْأَلُ**

الْإِنْسَانَ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ}، أي لا يمل من دعاء الله، في

الغنى والمال والولد، وغير ذلك من مطالب الدنيا،

ولا يزال يعمل على ذلك، ولا يقتنع بقليل، ولا كثير

منها، فلو حصل له من الدنيا ما حصل، لم يزل طالبًا

للزيادة.

◌ فلا يركز على الشكر، إنما دائما يطمع في المزيد، لأن همومه دنيوية، وهذا لا يعني أن لا ندعو الله، ولكن النقطة هنا أنه حتى في الخير لا يصبر ولا يشكر، ويكتفي بما لديه ويرضى به، لذلك في النعم الواجب عليه أن يركز على ما عنده ويشكر، لا أن يطمع في الزيادة.

◌ مع أنه إن شكر الله على نعمه سيزيده الله.

◌ فهنا يعلمنا أن ننشغل بالشكر في النعم، لا أن ننشغل بالدعاء في طلب الزيادة.

◌ كما ذكر {لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ}، وهذا الذي

دائما يدعو الله طلبا للزيادة، ولا يشكر الله على

نعمه.

◌ {وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ}، كالمكروه، كالمريض، والفقر، وأنواع

البلايا، فحاله، {فَيَتُوسَّ قَنُوطٌ}، والفاء هنا للتعقيب أي

سرعة يأسه، من روح الله وفرجه، والقنوط من

رحمته.

◌ وهذا حال الانسان الذي لا علم لديه ولا هداية.

◌ مع أن الله رحمته واسعة، ووسعت كل شيء، ولا

مثيل لرحمته، وهو الرؤوف اللطيف ليس كمثلته

شيء، ولكن هذا الانسان تركيزه فقط على الزيادة
لذلك حين يصاب بأي مصيبة، بسرعة يشعر
باليأس من رحمة الله ويقنط، ويظن أن هذا البلاء
هو القاضي عليه بالهلاك.

○ ويتشوش فلا يأخذ بالأسباب، أي يقيم في هذا البلاء،
نسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يبعدنا من أي يأس.
○ وهنا ذكر {وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ}، معناه أي مصيبة هي فقط
مس، أي شيء بسيط جدا ولفترة قصيرة، وهو
اختبار له كي يرى كيف سيكون رد فعله.

○ فهنا حال الانسان الذي لا هداية لديه إلا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات، أي الموحدين لله، ويعلمون من
هو الله، فإنهم إذا أصابهم الخير والنعمة والمحاب،
شكروا الله تعالى، لعلمهم أن الشكر ستتبعه
الزيادة، فصبرهم على النعم بشكرها.

○ وخافوا أن تكون نعم الله عليهم، استدراجًا وإمهالًا،
وإن أصابتهم مصيبة في أنفسهم وأموالهم،
وأولادهم، صبروا، ورجوا فضل ربهم، فلم ييأسوا أو
يقنطوا.

○ لذلك في النعمة يشكرون الله، وفي البلاء يصبرون
 أي يرجون رحمة الله لا أن يصابوا باليأس والقنوط.
 ،لذلك يعطيهم الله فوق تصورهم.

○ فهذا الانسان الذي أصابه الخير، وكان يدعو الله
 دائما طلبا للزيادة، ولما مسته المصيبة أقام فيها
 وصار يئوس قنوط يخبرنا الله عنه {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً
 مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي}، أي بعد ذلك الشر
 الذي أصابه، بأن عافاه الله من مرضه، أو أغناه من
 فقره، وأعطاه راحة البال والسعادة، أي المشاعر
 فإنه لا يشكر الله تعالى، بل يبغى، ويطغى.

○ ويقول، {هَذَا لِي}، وهذا من كفر النعمة، وكفر برحمة

الله، لأنه نسب النعمة لنفسه، أي أنا مستحق لهذه

النعمة، وأهلُّ لها، فنسي فضل الله ورحمته عليه.

○ وكذلك قال، {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً}، فهنا كفر وأنكر

البعث، بداية كفر بالنعمة ورحمة الله، ثم تبعه إنكار

للبعث لأن صار لديه الأمان من مكر الله (سبحانه

وتعالى)، فأنكر البعث، نسأل الله أن يبعدنا عن أي

نوع من أنواع الكفر أو الشرك.

○ {وَلَيْنِ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ}، أي: على تقدير

إتيان الساعة، وأني سأرجع إلى ربي، {إِنَّ لِي عِنْدَهُ

لَلْحُسْنَى، فكما حصلت لي النعمة في الدنيا لأنني

مستحق لها، فإنها كذلك ستحصل لي في الآخرة،

وسيعطيني الله النعم في الجنة.

○ وهذا هو الأمن من مكر الله.

○ وهو ليس بالرجاء، الرجاء في حال المشاكل

والمصائب، وهو لما كان في المصيبة أصابه اليأس

والقنوط، مع أن الرجاء يتفعل في المرض

والابتلاءات فيحسن الظن بالله، أنه سيخرجه منه

فيرجو رحمته، وإن جاءتة نعمه يخاف من مكر الله

واستدراجه، فلا يحسن الظن بنفسه، وأنه مستحقُّ
وأهلٌ للنعمة.

○ **{وَلَيْنِ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ}**، وكذلك هذا من
أعظم الجراءة القول على الله بلا علم.

○ فهو يتمنى على الله بالرغم من إساءته العمل
وعدم اليقين.

○ وهذا حال الكافر، وهو عكس حال المؤمن الذي
ذكرناه إذا اذاقه الله رحمة من بعد ضراء مسته
يقول هذا من فضل الله ورحمته ويزداد إيماناً

بالبعث ورحمة الله، لأنه رأى كيف أعاد الله له عافيته.

○ ويزداد حبا للعمل الصالح، فلا ينسى ويتمنى على الله الأمانى إنما يعمل، فنرى هنا التفصيل في بيان حالتي المؤمن والكافر.

○ لذلك بسبب جرأتهم وتقولهم على الله بلا علم توعدهم الله، {فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ}، أي سنخبر هؤلاء الذين كفروا بعملهم الغير صالح.

○ وذكر عملوا بالنسبة للكافرين كأنه تحصيل حاصل،

أي إذا لم يشكر الله في الأقدار ولم يؤمن بالله، فما

بالك بالأوامر والنواهي، والأعمال الصالحة.

○ لذلك ذكر {فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا}، أي اعتقاد

الإنسان ورد فعله في الأقدار يؤثر على عمله.

○ {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ}، أكيد سيذيقهم الله

(سبحانه وتعالى) عذاب شديد جدا.

○ وهذا للإنسان المتحسس للدنيا، لذلك لا نريد أن

نكون متحسسين للدنيا في المشاكل أو الابتلاءات

فنكون دائمي الشكوى، لأن هؤلاء لهم العذاب

الشديد والغليظ يوم القيامة في النار.

○ اللهم إني أعوذ بك من الكفر والشرك ومن عذاب

النار ومن فتنة الدنيا وفتنه المحيا والممات.

○ فنرى في الآيات تفصيل لحال الانسان في السراء

والضراء بأنه لا يصبر عليهما، وأن الخير والشر تربية

للإنسان، ولكنه إن لم يستفد من التربية بالإيمان

والعمل الصالح سيصير حاله للأسوأ.

○ ثم الآية التي تليها، {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ

بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}.

○ **{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ}**، بصحة، أو رزق، أبناء،

وغيرهما، والنعم، والمعافاة، تكون دائما أكثر من

الشر، بدليل أن الله ذكر أن الشر فقط مس.

○ ورد فعل هذا الانسان مع النعم، **{أَعْرَضَ}**، عن ربه

وشكره، معناه إن أعطانا الله النعم لا نعرض عنه

إنما نزداد شكرا له.

○ تخيلي من لا يملك أي شيء، وتعطينه المال

والمنزل، وبعد كل هذا يعرض عنك! فلا أتقبله.

○ وتخيلي الله جل جلاله يعطينا النعم وبالنهاية

نعرض عنه.

○ واللّٰهُ غنيّ عنا، فلا ينتفع اللّٰهُ بإقبالنا أو يتضرر بإدبارنا، نحن المنتفعون بإقبالنا عليه، والمتضررون بإدبارنا عنه.

○ فهذا أعرض عن ربه وشكره، {وَنَأَى}، أي ترفع {بِجَانِبِهِ}، عجا وتكبر، أي زاد كفره {وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ}، من المرض، والفقر، والمصائب، مس فقط.

○ {فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}، كثير جدًّا، لعدم صبره، فلا صبر في الضراء، ولا شكر في الرخاء، إلا من هداه اللّٰهُ ومنّ عليه، وهو المؤمن إن أنعم اللّٰهُ عليه يقبل على اللّٰهُ،

ويزداد إيماناً به ويتواضع له، فيدعو الله، وإن أصابه الشر يحسن الظن بالله ويرجوه ويدعوه.

○ فهذا الذي لديه الإيمان يختلف حاله عن من لم يقبل الهداية من الله.

○ فهنا تفصيل لحال الانسان في التقلبات بين الخير والشر، ونرى أنه تكرر ذكر "المس" في الشر، أما الخير أذقناه رحمة منا، "أنعمنا عليه" أي الله دائماً ينعم على الانسان ويكرمه. وكل ما سبق تفصيل وبيان لحال الانسان.

"اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء حزننا وذهاب همنا".
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



المصادر

1. تفسير الشيخ السعدي
2. تفسير ابن كثير
3. تفسير الشيخ بن عثيمين

مصادر إضافية

الاستماع للدرس عن طريق الرابط التالي - للنساء فقط

<https://vimeopro.com/markazalsalam/surah-fussilat-live-with-the-quran-in-ramadan-ar>

لطلب الاستماع للدروس – للنساء فقط

<https://markazalsalam.com/recordings-notes>

المدونات للنساء والرجال

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة الإنجليزية

<https://t.me/markazalsalampublicationsENG>

لطلاب العلم، والداعين، والمعلمين باللغة العربية

<https://t.me/markazalsalampublicationsAR>

مدونات الدروس للأطفال

<https://t.me/dropletsofdew>

للمبتدئين في الإسلام

<https://t.me/truthfulentry>